



الكرسي الرسولي

قَدَّاسَةُ الْبَابَا فرنسيس

المُقَابَلَةُ الْعَامَّةُ

الأربعاء 14 ديسمبر / كانون الأول 2016

قاعة بولس السادس

[Multimedia]

أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نقترب من الميلاد ويساعدنا النبيّ أشعيا مرّة أخرى لنفتح على الرّجاء ونقبل البشري السّارة لمجيء الخلاص.

يبدأ الفصل الثّاني والخمسون لسفر أشعيا بالدّعوة الموجّهة لأورشليم كي تستيقظ وتنفض عن نفسها الغبار والسلاسل وتلبس ثياب فخرها لأنّ الرّبّ آتٍ ليحرّر شعبه (الآيات ١-٣) وبضيف: "لذلك يَعرِفُ شَعْبِي اسمي في ذلك اليوم لأنّي أنا القائل: "هأنذا حاضِرًا" (الآية ٦).

وعلى هذا الـ "هأنذا" الذي يقوله الله والذي يلخّص كلّ مشيئته بالخلاص والقرب منا، يُجيب نشيد فرح أورشليم، بحسب دعوة النبيّ. إنّها لحظة تاريخيّة مهمّة جدًّا. إنّها نهاية السّبي إلى بابل والإمكانية لإسرائيل بأن يجد الله مجدّدًا وأن يجد نفسه في الإيمان مجدّدًا. فالرّبّ يقترب و"البقيّة"، أي بقيّة الشعب التي بقيت بعد أن صمدت في الإيمان في المنفى وعبرت الأزمنة واستمرّت في الإيمان والرّجاء وسط الظلمة، تلك "البقيّة" يمكنها أن ترى عظام الله.

هنا يَدْخُلُ النبيّ نشيد ابتهاج:

"ما أجملَ على الجبال

قَدَمَي الْمُبَشِّرِ الْمُخِيرِ بِالسَّلَامِ

الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ الْمُخِيرِ بِالْخَلَاصِ

القائل لصهيون: "قد ملكَ إلهك..."

إندَفِعي بالهتافِ جَمِيعًا

يا أُخْرَبَةَ أورشليم

فإنّ الرّبّ قد عزّى شعبه

كَشَفَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ

عَلَى عُيُونِ جَمِيعِ الْأُمَمِ

فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الْأَرْضِ

خَلَاصَ إِلَهِنَا" (أش ٥٢، ٧-٩، ١٠).

إِنَّ كَلِمَاتِ أَشَعْيَا هَذِهِ الَّتِي نُرِيدُ أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا تَشِيرُ إِلَى أَعْجُوبَةِ السَّلَامِ وَذَلِكَ بِأَسْلُوبٍ مُمَيِّزٍ جَدًّا، إِذْ تَضَعُ النَّظْرَ لَيْسَ عَلَى الْمُبَشِّرِ وَإِنَّمَا عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ تَرْكُضَانِ سَرِيعًا: "مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ..."

يبدو كعريس نشيد الأناشيد الذي يركض عند حبيبته: "هُوَ ذَا مُقِيلٌ وَهُوَ يَطْفِرُ عَلَى الْجِبَالِ وَيَقْفِزُ عَلَى التَّلَالِ" (نش ٢، ٨). هكذا يركض أيضًا المُبَشِّرُ الْمُخْبِرُ بِالسَّلَامِ حَامِلًا الْبَشْرَى السَّارَةَ لِلتَّحْرِيرِ وَالْخَلَاصِ وَمُعَلِّنًا أَنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ.

فَاللَّهُ لَمْ يَتْرِكْ شَعْبَهُ وَلَمْ يَسْمَحْ لِلشَّرِّ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَمِينُ وَنِعْمَتُهُ أَكْبَرُ مِنَ الْخَطِيئَةِ. هَذَا أَمْرٌ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ لَأَنَّا عِنْدُونَ وَلَا نَتَعَلَّمُ؛ وَلَكِنِّي سَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكُمْ بِالسُّؤَالِ: "مَنْ هُوَ أَعْظَمُ اللَّهُ أَمْ الْخَطِيئَةُ؟ اللَّهُ! وَمَنْ سَيَنْتَصِرُ فِي النِّهَايَةِ اللَّهُ أَمْ الْخَطِيئَةُ؟ اللَّهُ! وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى أَكْبَرِ الْخَطَايَا وَالْأَكْثَرِهَا إِحْرَاجًا وَسُوءًا! وَبِأَيِّ سِلَاحٍ يَتَغَلَّبُ اللَّهُ عَلَى الْخَطِيئَةِ؟ بِالْحُبِّ! هَذَا يَعْنِي أَنَّ "اللَّهُ يَمْلِكُ"؛ هَذِهِ هِيَ كَلِمَاتُ الْإِيمَانِ بِرَبِّ تَنْحِنِي قُوَّتَهُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ وَتَتَنَازَلُ لِتَقْدِمَ الرَّحْمَةَ وَتُحَرِّرَ الْإِنْسَانَ مِمَّا يُشَوِّهُ فِيهِ صُورَةَ اللَّهِ الْجَمِيلَةِ. وَتَمَامَ هَذَا الْكَمِّ مِنَ الْحُبِّ سَيَكُونُ الْمَلَكُوتُ الَّذِي أَقَامَهُ يَسُوعُ، مَلَكُوتُ الْمَغْفِرَةِ وَالسَّلَامِ الَّذِي نَحْتَفِلُ بِهِ بِالْمِيلَادِ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِشَكْلِ نِهَائِيٍّ فِي الْفَصْح. إِنَّهُ فَرَحُ الْمِيلَادِ الْأَجْمَلِ، إِنَّهُ فَرَحُ السَّلَامِ الدَّاخِلِيِّ: لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ مَحَا خَطَايَايَ وَغَفَرَ لِي وَرَحِمَنِي وَجَاءَ لِخَلِّصَنِي. هَذَا هُوَ فَرَحُ الْمِيلَادِ!

هَذِهِ هِيَ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، دَوَافِعُ رَجَائِنَا. عِنْدَمَا يَبْدُو أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ انْتَهَى وَعِنْدَمَا، أَمَامَ الْعَدِيدِ مِنَ الْوَقَائِعِ السَّلْبِيَّةِ، يَتَعَبُ الْإِيمَانُ وَنَقَعَ فِي تَجَرِبَةِ الْقَوْلِ إِنَّ لَا شَيْءَ لَهُ مَعْنَى، تَأْتِي الْبَشْرَى الْجَمِيلَةُ الَّتِي تَحْمِلُهَا تِلْكَ الْقَدَمَيْنِ السَّرِيعَتَيْنِ: اللَّهُ آتٍ لِيَحَقِّقَ شَيْئًا جَدِيدًا وَبِحُلٍّ مَلَكُوتِ سَلَامٍ؛ اللَّهُ قَدْ "كَشَفَ عَنْ ذِرَاعِهِ" وَبِأَيِّ لِيَحْمِلَ الْحَرَبَةَ وَالتَّعْزِيبَةَ. فَالشَّرُّ لَنْ يَنْتَصِرَ نِهَائِيًّا وَهَنَاقَ نِهَآيَةِ الْإِلْمِ، وَتَمَّ التَّغَلُّبُ عَلَى الْيَأْسِ لِأَنَّ اللَّهَ بَيْنَنَا!

نَحْنُ أَيْضًا قَدْ دُعِينَا لِنَسْتَيْقِظَ، كَأُورَشَلِيمَ، بِحَسَبِ الدَّعْوَةِ الَّتِي يُوَجِّهُهَا النَّبِيُّ إِلَيْهَا؛ نَحْنُ مَدْعُوُونَ لِنَصْبِحَ رِجَالًا وَنِسَاءً رَجَاءً يَسَاهِمُونَ فِي مَجِيءِ مَلَكُوتِ التَّوَرِّ هَذَا وَالْمَوْجَّهَ لِلْجَمِيعِ. نَحْنُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ رَجَاءٌ! مَا أُنْعَسُ أَنْ نَلْتَقِيَ بِمَسِيحِي فَقَدْ الرَجَاءُ! "أَنَا لَا أَرْجُو شَيْئًا وَكُلَّ شَيْءٍ قَدْ انْتَهَى بِالنِّسْبَةِ لِي!" هَذَا مَا يَقُولُهُ الْمَسِيحِيُّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَفْقِ الرَجَاءِ وَبِضَعٍ جَدَارًا أَمَامَ قَلْبِهِ. لَكِنَّ اللَّهَ يَدْمُرُ هَذِهِ الْجُدْرَانَ بِالْمَغْفِرَةِ وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَصَلِّيَ لِكَيْ يَمْنَحَنَا اللَّهُ جَمِيعًا، وَبُيُومِيًّا، الرَجَاءَ الَّذِي يُولَدُ مِنْ رُؤْيَا لِهَ فِي مَغَارَةِ بَيْتِ لَحْمٍ. إِنَّ رِسَالَةَ الْبَشْرَى السَّارَةَ الَّتِي أُوكِلَتْ إِلَيْنَا مِلْحَةً وَنَنْبَغِي عَلَيْنَا نَحْنُ أَيْضًا أَنْ نَرْكُضَ كَالْمُبَشِّرِ عَلَى الْجِبَالِ لِأَنَّ الْعَالَمَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَنْتَظِرَ وَالْبَشَرِيَّةُ تَجُوعُ وَتَعْطِشُ لِلْعَدَالَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالسَّلَامِ.

وَمِنْ خِلَالِ رُؤْيَاهُمْ لَطْفِ بَيْتِ لَحْمِ الصَّغِيرِ، سَيَعْرِفُ صِغَارُ الْعَالَمِ أَنَّ الْوَعْدَ قَدْ تَمَّ وَالرَّسَالَةَ قَدْ تَحَقَّقَتْ. فِي طِفْلِ حَدِيثِ الْوِلَادَةِ، يَحْتَاجُ لِكُلِّ شَيْءٍ، مُقَمِّطٌ وَمُضْجَعٌ فِي مَذُودٍ، تَخْتَبِي قُدْرَةُ اللَّهِ الَّذِي يَخْلِّصُ. الْمِيلَادُ هُوَ يَوْمٌ لِنَفْتَحَ فِيهِ قُلُوبَنَا وَلِذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَفْتَحَ قُلُوبَنَا لِهَذَا الْكَمِّ مِنَ الصَّغَرِ وَالْدَّهْشَةِ الْمَوْجُودِ فِي ذَاكَ الطِّفْلِ. إِنَّهَا دَهْشَةُ الْمِيلَادِ الَّذِي نَسْتَعِدُّ لَهُ بِرَجَاءٍ فِي زَمَنِ الْمَجِيءِ هَذَا. إِنَّهَا مَفْاجَأَةٌ إِلَهُ طِفْلٍ وَإِلَهُ فَقِيرٍ وَإِلَهُ ضَعِيفٍ وَإِلَهُ يَتْرِكُ عِظَمَتَهُ لِيَقْتَرِبَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا.

Speaker:

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، نقرب من الميلاد وبساعدنا النبي أشعيا مرة أخرى لنفتح على الرجاء ونقبل البشري السارة لمجيء الخلاص. يبدأ الفصل الثاني والخمسون لسفر أشعيا بالدعوة الموجهة لأورشليم كي تستيقظ وتنفض عن نفسها الغبار والسلاسل وتلبس ثياب فخرها لأن الرب آتٍ ليحرر شعبه. إن كلمات النبي أشعيا التي سمعناها تشير إلى أعجوبة السلام وذلك بأسلوب مميز جداً، إذ تضع النظر ليس على المبعث وإنما على قدميه اللتين تركضان سريعاً، إذ يحمل البشري السارة للتحرير والخلاص ومعلنًا أن الله يملك. فإله لم يترك شعبه ولم يسمح للشّر بأن يتغلب عليه لأنه هو الأمين ونعمته أكبر من الخطيئة. هذه هي، أيها الإخوة والأخوات، دوافع رجائنا. عندما يبدو أن كل شيء قد انتهى وعندما يتعب الإيمان ونقع في تجربة القول إن لا شيء له معنى، تأتي البشري الجميلة التي تحملها تلك القدمين السريعتين: الله آتٍ ليحقق شيئاً جديداً ويحلّ ملكوت سلام؛ الله قد "كشف عن ذراعه" وبأتي ليحمل الحرية والتعزية. فالشّر لن ينتصر نهائياً وهناك نهاية للألم. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، نحن أيضاً قد دُعينا لنستيقظ، كأورشليم، بحسب الدعوة التي يوجهها النبي إليها؛ نحن مدعوون لنصبح رجال ونساء رجاء ونساهم في مجيء ملكوت النور هذا والموجه للجميع.

Santo Padre:

Rivolgo un cordiale benvenuto ai pellegrini di lingua araba, in particolare a quelli provenienti dal Medio Oriente! Cari fratelli e sorelle, Santa Teresa del Bambino Gesù scriveva: "Io non posso temere un Dio che per me si è fatto così piccolo..." Apriamo i nostri cuori a questa piccolezza e questa meraviglia e lasciamoci sorprendere dal Dio bambino che si fa vicino ad ognuno di noi. Il Signore vi benedica!

* * * * *

Speaker:

أرحّب بالحجاج الناطقين باللغة العربية، وخاصةً بالقادمين من الشرق الأوسط. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، كتبت القديسة تريزا الطفل يسوع: "لا يمكنني أن أخاف إلهاً أضحي هكذا صغيراً لأجلي..." لنفتح قلوبنا على هذا الصغر وهذه الدهشة ولندع أنفسنا تتأمل بذهول هذا الإله الطفل الذي يقترب من كل واحد منا. ليبارككم الرب!

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana